المحاضرة الثانية: التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري:

قدر "ناصر الدين سعيدوني" مجموع عدد سكان الجزائر في الفترة العثمانية بحوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة، بحيث يعيش أغلبية هؤلاء السكان في الأرياف، وفيما يخص بايلك قسنطينة فأن أغلب سكانه أيضا ريفيون بنسبة 95%من مجموع السكان مما يعني أن سكان المدن كانوا لا يمثلون سوى 5%من سكان البايلك[1]، وعلى هذا الأساس يكون عدد سكان الريف في الشرق الجزائري حوالي مليون نسمة في حين سكان العاصمة الشرقية قسنطينة لا يقل عن 30 ألف نسمة[2].

ويؤكد ذلك ما ذكره المؤلف فندلين شلوصر أثناء إقامته بقسنطينة في الفترة الممتدة من 1832م إلى 1837م بقوله: «...كان سكان قسنطينة الذين بلغ عددهم أيام إقامتي بها ثلاثين ألفا...»[3]، في حين ذكر "وليام شالر" أن عدد سكان قسنطينة قبل احتلالها يقدر بـ: 25 ألف نسمة[4]، وهذا الرقم أشارت إليه العديد من الدراسات و لكن بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة الذي أدى بدوره إلى انخفاض عدد سكانها نتيجة فرار بعض العائلات منها ومقتل عدد كبير من سكانها، وليس قبل الاحتلال[5] .

ويؤكد بعض المؤرخين الأوروبيين الذين اهتموا بدراسة البنية الاجتماعية لسكان مدن الجزائر خلال العهد العثماني، ومن بينهم وليام سبنسر بأنها: عبارة عن مجموعات عرقية من الأتراك والمغاربة بما فيهم الكراغلة، إضافة إلى المرتدين المسيحيين واليهود[6]، وهو ما أجمعت عليه معظم الروايات المتعلقة بدراسة البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري في العهد العثماني.

وكذلك ما ذكره "وليام شالر"بقوله: «...وسكانها [يقصد قسنطينة] عبارة عن خليط من العرب والبربر وبقايا الأجناس التي غزت هذه البلاد عبر العصور ومن المهاجرين من الأندلسيين والأتراك»[7]، وهو ما ذهب إليه "فندلين شلوصر" عن أصول سكان مدينة قسنطينة، بقوله: <<عبارة عن خليط من الترك والعرب والبربر>>[8].

(1) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص41.

2 أحميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة، ص21.

3فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي(1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص79.

4 وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص79.

(5) أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ، ج1، ص174.

6 وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص97.

7 وليم سبنسر ، مصدر سابق ص79.

8 نفسه، ص79.

و بهذا فقد ضمت العاصمة الشرقية للبايلك كغيرها من المدن الكبرى في الجزائر خلال العهد العثماني مجموعات أو فئات عرقية متمايزة اتخذ تنظيمها الاجتماعي شكلا هرميا احتلت قمته الطائفة التركية[9].

و من هنا يمكن تقسيم فئات المجتمع في مدينة قسنطينة إلى فئات على النحو التالي:

أ–فئة الأتراك: وهي الطبقة الحاكمة في المدينة قبل الاحتلال الفرنسي وعددهم قليل ببايلك قسنطينة، وقد كانوا يأتون من بلاد الأناضول ويؤلفون فرق الجيش ويقدمون خدمات مفيدة في البايلك[10].

وقد كان هؤلاء الأتراك العثمانيون يحتكرون المناصب العليا في الدولة [11]، لذلك فقد كانت حياتهم مهددة بالخطر على حسب تعبير "وليام شالر" في قوله: «حظوظ الأتراك الذين يبقون بعيدين عن الحياة السياسية أكثر استقرارا من حظوظ أولئك الدين تدفعهم المطامع إلى كسب الثروة والجاه، وهي مزايا يتعرض صاحبها دائما للخطر»[12]، فقد كانت هذه الفئة منعزلة عن السكان وذلك من أجل إبقاء هيمنتها على المناصب الحكومية وصيانة تقاليدها الخاصة في نظم العيش والسلوك[13].

وقد كان الأثرياء من الأتراك يقطنون في الأحياء الراقية وسط المدينة، أما الفئات المتواضعة المعيشة، فكانت تقيم في الأحياء الواقعة في أعالي المدينة، وبالنسبة للجنود فقد كانوا يعيشون في الثكنات العسكرية[14].

اتسم العنصر التركي بالعنف والصرامة والوحشية إذا ما تعلق الأمر بالحياة السياسية أو المس بامتيازاتهم[15]، فقد تميزت علاقتهم مع الأهالي بالعداء و الاحتقار ورفضهم لمبدأ المساواة معهم، وهو ما ذهب إليه "هايدو"(Haedo) في قوله: «لا يوجد في الإمبراطورية العثمانية أسوء من علاقة الترك بالعرب في مملكة الجزائر»[16].

---

9 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...،مرجع سابق، ص42.

10 ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...،مرجع سابق، ص328.

11حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص116.

12 المصدر السابق، ص57.

13 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص42.

14شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني(926-1246هـ/1519-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص161.

15 وليام شالر، المصدر السابق، ص54.

16 Haedo Fray diego, histoire de rois d'Alger, A.jourdan, Alger, 1881, p219.

وكان تمسك الأتراك بالولاء لحكومتهم تمسكا يشبه في أثاره شعور الوطنية ويغذي هذا الشعور التغيرات والثورات المتوالية في الحكومة والإدارة وفرصة الأتراك في الحصول على الثروة والجاه[17]، إضافة إلى الارتقاء في المناصب هذه الأخيرة التي كانت تباع وتشترى بين رجال الحكم[(18)].

ويضاف إلى هذه الطائفة الأعلاج الأوروبيون، التي تعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا وقد كانوا يلحقون بالأتراك بعد إسلامهم، وقد اتخذوا هؤلاء الأعلاج الجزائر وطنا لهم ليحسنوا أوضاعهم المادية وليحققوا طموحاتهم، عرفت هذه الشريحة الاجتماعية عند الأوروبيين بالمرتدين لارتداد أفرادها عن المسيحية، أما عند المسلمين فعرفوا بالمهتدين، وعددهم قليل في مدينة قسنطينة لأن معظم الأعلاج يفضلون الانضمام إلى البحرية الجزائرية[19].

وقد تقلد بعض الأعلاج عدة مناصب إدارية وعسكرية ومنهم: العلج إبراهيم باي الذي تولى حكم قسنطينة (1703–1707م)[20].

ب–فئة الكراغلة*: تحتل المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي لمدينة قسنطينة بعد فئة الأتراك، وذلك من حيث أهميتها كفئة في المجتمع و أيضا للمكانة الاجتماعية التي حظيت بها في المدينة، وقد استخدم هذا المصطلح للدلالة على أبناء الزواج المختلط (بين رجال أتراك ونساء البلد) في المناطق التي عرفت الوجود العثماني كبلاد شمال إفريقيا[21]، وعدد الكراغلة كبير وهم موزعون في جميع أنحاء الإيالة، قدر عددهم بنحو عشرين ألفا[22].

وقد ضمت عاصمة البايلك مدينة قسنطينة أعداد كبيرة للكراغلة قدرت بحوالي 1130 كرغلي، ويرجع سبب ذلك إلى أن البايلك لم يشهد صراعات بين الكراغلة والعثمانيين كما حدث في بقية مناطق الإيالة، فضلا عن موقعه الاستراتيجي والاقتصادي[23].

---

17 وليام شالر، المصدر السابق، ص54.

(18) حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص113.

19 شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص84، 85.

20 محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتحقيق، يحي بوعزيز، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص52.

*الكراغلة: كلمة عثمانية مركبة من "كوله أوغلو" وهي إدغام "كوله kole "التي عبد مع "أوغلو ogul" التي تعني ابن في التركية، فيكون المعنى التاريخي للمصطلح: أبناء عبيد السلطان العثماني، للمزيد أنظر محمد مقصودة، الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، وهران، 2014، ص70.

21 مرجع نفسه، ص71.

22 حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص117.

23 محمد مقصودة، مرجع سابق، ص82.

وقد مثلت الأسر الكرغلية إحدى شرائح الفئة العليا، باعتبار أن الكراغلة كانوا يمثلون كبار الملاك بقسنطينة ويسيطرون على أخصب الأراضي المحيطة بالمدينة، فأصبحوا من أصحاب الثروة والجاه بالمدينة ومن أشهر الأسر الكرغلية التي بقيت إلى اليوم تحمل أسماء لها دلالات تركية وتتمتع بمكانة متميزة داخل المجتمع القسنطيني :أسرة كلوغلي، صطنبولي، كريتلي، علي خوجة، بلخوجة و غيرها من الأسماء و الوظائف التي أصبحت ألقابا لأسر من أرقى و أغنى الأسر البلدية القسنطينية[24].

ورغم موقع الكراغلة من العثمانيين وصلتهم بهم، إلا أن علاقتهم تميزت بالحقد وبنوع من الحذر فقد مُنِعَ الكراغلة من شغل المناصب السامية، ومع ذلك فقد ظل معظمهم يتقاضى أجرا من الدولة خوفا من تمرداتهم، و في ذلك يذكر "حمدان خوجة": <<...كان الكراغلة يراقبون خشية أن يحدث

بينهم وبين الأعيان في داخل البلاد نوع من التفاهم بقصد الاستيلاء على الحكم>>[(25)]، لاسيما أن الكراغلة بحكم قرابتهم من الأهالي و ارتباطهم بالبلاد كانوا قادرين على تكوين حلف موحد يهدد امتيازات الطائفة التركية[26].

ورغم ذلك استفاد كراغلة قسنطينة مع وصول عدد منهم إلى الحكم بالبايلك أمثال: حسين باي بن حسن بوحنك (1792–1795م)، وحسين بن صالح باي(1806–1807م)[27]، وكذلك الحاج أحمد باي الذي حكم بايلك قسنطينة سنة 1826م[28].

أما عن باقي السكان فيمكن تصنيفهم حسب أوضاعهم الاجتماعية إلى ثلاث طبقات رئيسية، مثلت بدورها مجموعات سكانية متميزة بوظائفها ومهامها ومكانتها الاجتماعية[29]، وهي:

أ– طبقة الحضر:

وتعرف أيضا بمجموعة البلدية، أي العناصر الأولى التي ولدت في المدن وترعرعت فيها، وقد كانت تتكون أيضا من العرب و الأمازيغ[30]، وقد عرفت مدينة قسنطينة طوال الحكم التركي فئة الحضر أو البلدية و التي كان لها تأثير مباشر على الأوضاع

---

24 جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة،2007- 2008، ص362، 363.

(25) المصدر السابق، ص 119.

26 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص44.

27 محمد بن الصالح العنتري، المصدر السابق، ص،ص67،75.

28 محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص7.

29 عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107–1217هـ/1695–1705م)، تحقيق وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ص25.

30 شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص77.

الداخلية بالمدينة، ولهذا لم يجد الأتراك بدا من منحها الكثير من الامتيازات وتخصيص أغلب المناصب الشرفية والوظائف الإدارية والثقافية والتجارية

لها، وقد اشتهرت من هذه الطبقة العائلات العريقة بقسنطينة من أمثال: أسرة عبد المؤمن[31]، وكذا أسرة الفكون[32]، هذه الأخيرة التي احتكرت بعض الوظائف الإدارية كالقضاء والإمامة والتدريس وقيادة ركب الحج وغيرها من الوظائف الثقافية والتجارية بالمدينة مما أكسبها نفوذا ماديا من مداخيل رسمية ودينية ونفود روحي بحيث كانت ملجأ أمينا لكل هارب سواء كان من عامة الناس أو من الحكام[33].

وتضم هذه الفئة كذلك عنصر مهاجري الأندلس بعد أن تكاثر عددهم نتيجة قرارات الطرد الإجباري، التي تعرضوا لها بإسبانيا مند سنة 1616م، وقد كان هدا العنصر عاملا إيجابيا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية[34]، بفضل ممارسات لمختلف المهن والحرف مثل:التجارة، بناء المنال، الخياطة، صناعة الأسلحة إلى جانب محلاتهم التجارية في مختلف أنحاء المدن[35].

وعموما تميزت علاقة هذه الطبقة بالسلطة الحاكمة بالطيبة، فقد كانت طبقة متوسطة قانعة بما تملكه من دكاكين وبساتين، ولم تطمع إلى ارتقاء المناصب السياسية، وإن كان بعض أفرادها قد تولوا بعض المناصب في القضاء والإفتاء والكتابة[(36)]، والبعض الأخر كان محل ثقة واحترام الحكام مثل : السيد عبد الكريم الفكون[(37)] الذي كان مقربا منهم لدرجة أن أحدا لا يستطيع مسه بسوء[38].

ب–طبقة البرانية:

31 أسرة عبد المؤمن: إحدى الأسر الشريفة التي قدمت من المغرب لتستقر مند القرن 8ه/14م بقسنطينة توارثت منصب شيخ الإسلام ومنصب أمير ركب الحج في العهد الحفصي، للمزيد ينظر،جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة...، مرجع سابق، ص107.

32 أسرة الفكون: أسرة ذات تاريخ عريق في قسنطينة ترجع أصولها إلى قبيلة تميم العربية وقد تولى أفراد هذه الأسرة المناصب العليا في المدينة في العهد العثماني، للمزيد ينظر،عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1987، ص07.

33 المصدر نفسه، ص 08.

34 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص45.

35 شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص77.

(36) ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص45.

(37) عبد الكريم الفكون: هو الفقيه العلامة عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، ولد في قسنطينة في السنة التي توفي فيها جده عبد الكريم الفكون ،تولى منصب شيخ المدينة وأمير ركب الحج، توفي شهيدا بالطاعون سنة 1073هـ/1662م...،للمزيد ينظر أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، بيير فونتانة، الجزائر، 1906، ص163.

38 سعد الله أبو القاسم، مرجع سابق، ج1، ص404.

تسمي أيضا بفئة الأعراب، وتضم هده الفئة الأفراد الدين قدموا إلى المدينة من مختلف أنحاء البلاد الجزائرية قصد العمل والإقامة بها[39]، وقد نصبت خيامها بضواحي المدينة وهو ما يسمى بظاهرة

النزوح الريفي نحو المدن من أجل الارتزاق[40]، وإلى جانب ذلك عامل الهروب أو الجلاء من منطقة إدارية إلى أخرى بسبب استبداد البايات[41] حيث يذكر وليام شالر أن "بهذه الطريقة خلت سكانها كليا تقريبا سهول عنابة بولاية قسنطينة، بسبب نزوح القبائل العربية عنها نتيجة لما تعرضوا له من الاستبداد الذي لم يكونوا يطيقونه..."[42].

وقد عرف أفراد هذه الطبقة بانتسابهم لمواطنهم الأصلية وبممارستهم لأعمال معينة، بحيث تختص كل جماعة بمهنة محددة ومتواضعة تشتهر بها، فالأغواطيون اشتهروا بالتنظيف و البساكرة بحمل الأثقال والحراسة والقبائل بأعمال البناء[43].

وقد احتضنت مدينة قسنطينة بدورها عددا كبيرا من هؤلاء البرانية الذين مارسوا فيها حرفا مختلفة مثلا لحدادين والنحاسين والنجارين والخياطين وصانعي السيوف والدباغين والخبازين [44].

حتى أصبحت بعض الأحياء والساحات والأسواق تعرف بأسماء تلك الجماعات والتي نظمت من طرف الإدارة في شكل نقابات من أجل تسهيل استخلاص الضرائب منها[45]، أوكل أمر التصرف في شؤونها إلى أمين أو مقدم يختار من بين أفرادها ويكون على اتصال دائم بالموظفين المكلفين بمراقبتها كالمقتصد و شيخ البلد[46]، وقد اتخذ فقراء البرانية مواقع معينة داخل مدينة قسنطينة وهي المواقع الفقيرة واستقروا فيها، عرفت بطابية البرانية[47].

ج–طبقة الدخلاء:

تضم هذه الطبقة جاليات من اليهود والأوروبيين الأحرار والمسيحيين الأسرى.

39عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص25.

40شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص78.

(41) الباي: لقب وظيفي في العهد العثماني، محرف عن كلمة "بك" تلقب به حكام تونس العثمانيين وقد استحدث هذا اللقب في القرن 16م، للمزيد ينظر مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات و الألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص68.

42 مصدر سابق، ص109.

43 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص45.

44فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص87.

45شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص137.

46 عبد الله بن محمد الشويهد، المصدر السابق، ص 26.

47 عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700–1830)، مقاربة اجتماعية –اقتصادية، رسالة لنيل دكتوراه في التاريخ الحديث، الجزائر، 2000- 2001، ص 414.

– **فئة اليهود:** قسمت هده الطائفة إلى مجموعتين بحسب أقدميتها : الأولى : التحقت بأفريقيا بعد أن تشتت صفوفهم في المشرق في القرن الثامن قبل الميلاد، والثانية: تألفت من اليهود النازحين من جزر البليار و شمال أوروبا، فرنسا، إنجلترا، وإيطاليا ابتداء من القرن 13م/7هـ،والتحق بهم يهود إسبانيا بعد سقوط غرناطة 898هـ/1492م[48].

وقد بلغ عدد طائفة اليهود في إيالة الجزائر 30000 يهودي منهم 5000 يهودي في بايلك قسنطينة[49]، وما يدل أيضا على أن المدينة احتضنت أعداد كبيرة من الأسر اليهودية، ما ذكره صالح العنتري من وجودهم بحومة الجابية وسيدي كتاني بالمدينة، وأيضا حول تخصيص صالح باي ليهود قسنطينة المنطقة المحصورة بين باب القنطرة وحافة الهاوية التي كانت مهجورة لإقامة منازلهم ودكاكينهم، فاجتمعوا بها وظهرت إلى الوجود حومة رحبة الصوف والشارع الرئيسي الممتد بين باب القنطرة وباب الوادي[50]، التي أصبحت تعرف بحارة اليهود، وهو ما أدى إلى تزايد أعداد اليهود الوافدين على المدينة إلى أن بلغ عددهم في عهد أحمد باي تسعة ألاف يهودي[51].

وقد سمح لليهود بممارسة عقيدتهم الدينية وعاداتهم بكل حرية، وكان وضعهم القانوني لا يختلف كثيرا عن وضع الجزائريين، بحيث يذكر وليام شالر :«...و اليهود يتمتعون بحرية تامة في التنقل والإقامة حيث يرغبون وبممارسة المهنة التي يرونها في حدود القانون»[52].

ويتصدر طائفة اليهود موظف يدعى المقدم يتم تعيينه من طرف الداي[53]، يكلف بجمع الضرائب والرسوم والجزية، وينال منصبه هذا مقابل تقديمه رسم التولية [54] للبايلك[55].

وقد كانت علاقة اليهود بالطبقة الحاكمة مبنية على أساس المصلحة فقد وضع الأتراك ثقتهم في اليهود لأنهم لا يخشون منهم الاستيلاء على الحكم، ومن جهتهم اليهود ارتبطوا بالأتراك من أجل المصلحة وجمع الأموال الطائلة [56].

---

48 شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص91، 92.

49 أندري برنيان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص،ص 203،210.

50 محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 65

51فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص56.

52 المصدر السابق، ص90.

53 عائشة غطاس، مرجع سابق، ص 48.

(54) رسم التولية: عبارة عن مبلغ من المال يقدر ب 1000 فرنك يقدمه قائد اليهود المعروف بالمقدم لينال منصب جمع الضرائب والرسوم المفروضة على اليهود، للمزيد ينظر ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...،مرجع سابق، ص328.

55 مرجع نفسه، ص329.

56 حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص120

كانت نظرة السكان إلى اليهود نظرة احتقار، وفي ذلك يذكر فندلين شلوصر :«كان اليهود بصفة عامة محتقرين في قسنطينة، فكان اليهودي يعامل معاملة العبيد، وإذا احتاج الباي إلى المال فإنه يطلبه من اليهودي، وإذا كان لأحد عمل لا يليق به فإنه يأخذه ليهودي ليقوم به...»[57].

ومرد ذلك إلى طريقة تحصيلهم لثرواتهم عن طريق ممارسة السمسرة والمراباة والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية[58]، و بالرغم من ذلك فإن سيطرتهم على المعاملات التجارية وامتهانهم للمهن الحرة كالخياطة وبيع العطور علاوة على احتكارهم للأعمال المتعلقة بالذهب والفضة واحترافهم أيضا للترجمة بالبلاط والجلسات الرسمية، مكنهم من التمتع بنفوذ في الحياة السياسية و الاقتصادية للمدينة[59].

وقد استفاد اليهود من الاحتلال الفرنسي لمدينة قسنطينة بحيث عاد عليهم بمنافع كثيرة خاصة من ناحية الواجبات المالية التي كانت مفروضة عليهم في عهد أحمد باي [60].

- **فئة الأوروبيين:** وتنقسم بدورها إلى فئتين:
- **فئة المسيحيين الأحرار:** تتشكل من القناصل وموظفي القنصليات ووكلاء المؤسسات التجارية وقساوسة الإرساليات والتجار، أفراد هده الفئة ضئيل مقارنة بالفئات الأخرى وهناك من يرجع سبب ذلك إلى وجود عدد كبير من اليهود وسيطرتهم على التجارة[61]، غير أنه تواجد عدد كبير من التجار

والموظفين الإداريين في المراكز التجارية الفرنسية في الشرق الجزائري خاصة المتعلقة بشراء حبوب قسنطينة ومنتجاتها الأخرى

.

وقد كان الأوربيون بصفة عامة يتمركزون في المدن الساحلية مثل:عنابة، بجاية وقد ازداد عددهم في أواخر العهد العثماني بسبب قلة الغزوات البحرية وتقلص عدد الأسرى ورواج التجارة الأوروبية في البحر المتوسط[62].

---

57 المصدر السابق، ص82.

58 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص46.

59 فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص87.

60 ناصر الدين السعدوني، دراسات وأبحاث ...، مرجع سابق، ص328.

61شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص94.

62 محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1792، ص 267، 277.

- **فئة المسيحيين الأسرى**: يعود أصولهم إلى مختلف الدول الأوروبية وقد مثلت هده الفئة طبقة مميزة في المجتمع بفضل الخدمات الاقتصادية والأعمال التي كانت تؤديها مثل: الاستخدام في القصر ودور الحكومة أو العمل بالبساتين والسجون أو الإشراف على الحانات[63]، بالإضافة إلى خدمة الباي واصطحابهم كعبيد أثناء رحلاته، ومعظمهم من الجنويين و النابوليين[64].

غير أن عدد الأسرى عرف تراجعا في أواخر القرن 12هـ/18م وتعود أسباب ذلك إلى التقهقر الذي عرفه الأسطول الجزائري، في مقابل هيمنة الأسطول الأوروبي و لاسيما الإنجليزي و الفرنسي[65].

مما سبق نستنتج أن المجتمع القسنطيني في العهد العثماني اتخد تركيبا هرميا متميزا سواء من الناحية العرقية أو من ناحية الامتيازات والمكانة الاجتماعية، فقد احتلت المرتبة الأولى الطائفة التركية الضئيلة العدد والكثيرة من حيث الامتيازات، ثم تلتها جماعة الكراغلة التي أسندت لها المناصب المتوسطة من حيث الأهمية، بعدها تأتي طبقة الحضر بما فيها الأندلسيون والأعيان والذين تولوا المناصب الدينية والتعليمية، تلتها طبقة الجاليات اليهودية والمسيحية الدخيلة عن المجتمع، وأخيرا نجد طبقة البرانية والتي اشتغلت في المهن المتواضعة بالمدينة.

63 ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر...، مرجع سابق، ص226.

64جيمس لندر كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق وتقديم، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص118.

65شويتام أرزقي، مرجع سابق، ص97.